

(راسكولنيكوف) من الغرفة (مكان الجريمة المزدوجة) ويغادر المكان دون أن يلحظه أحد، ويعود الطالبان (بعدهما اجتماعاً في أسفل البناء) مع غيرهما من الخلق لكشف سر العجوز، فيجدون الباب مفتوحاً، أما المجرم فقد غادر المكان، في تلك اللحظة الملأى بالحيرة والبلبال ينجو (راسكولنيكوف) فيهدأ القلب قليلاً تاركاً الضجة والأسئلة والقلق والتكهنات تأخذ أبعادها وأمداءها عند الآخرين الذين أخذتهم المفاجأة، وقد عرفوا أن العجوز قتلت وأن المجرم فر من بين أصابعهم كالطائر تماماً، وبعدئذ تأتي أمه وأخته لزيارته (لأنهما على موعد مع لوجين خطيب دونيا من أجل إتمام إجراءات الزواج المقرونة بموافقة راسكولنيكوف) في مكان سكنه في مدينة بطرسبرغ، ليكون مجيئهما بمنزلة المهدئ له على الرغم من أدوار الحمى والهذيان التي تصيبه وقد استفاق جيداً وعرف بأنوار العقل ماذا فعل! وإلى أي مصير سيمضي؟! في تلك اللقاءات القليلة التي تمت ما بين (راسكولنيكوف) وأمّه وأخته تتعقد علاقة عاطفية مشبوبة ما بين (دونيا) أخته، وصديقه الحميم (رازوميخين) تؤدي إلى ما سنعرفه لاحقاً، أعني الزواج، بعدما انكشفت نيات (لوجين) الهادفة إلى إتمام عملية زواج/ صفقة ستحمل الكثير من الإهانة والمذلة لـ (دونيا).

وهكذا تنتهي الأجزاء الثلاثة الأولى التي يشتمل عليها المجلد الأول من الرواية مع موت (مارميلادوف) ودفنه، وتردد (راسكولنيكوف) أكثر من مرة على مكتب التحقيق للإجابة عن أسئلة المحقق (بورفير). وتختتم الصفحات الأخيرة من المجلد الأول بحلم طويل يتكسر على شكل حلقات واقعية تنمهي مع الحلم عبر العديد من الحوادث، والتي أبرزها قول رجل عادي لـ (راسكولنيكوف) دون أن يعرفه، وهما يمشيان في الشارع، وبقسوة ظاهرة: قاتل!! تلك الكلمة التي تهزّه تماماً وتجعله ينهار لكأن كل ما أضمره ظهر وانكشف مرة واحدة، وحين يمحص هذا القول لا يدري إن كان قد حدث ذلك في اليقظة أم المنام، فالذبابة التي رآها في الحلم هي ذاتها التي تحوم حوله في اليقظة، والرجل الذي وصفه بـ (القاتل) يكاد يعرفه لكنه لا يستطيع تحديد نوع المعرفة بالضبط، وهكذا تكون الخاتمة أشبه بالمتاهة، لتستتبع الأجزاء الثلاثة الأولى بثلاثة أجزاء جديدة تُولف تسعة عشر فصلاً متبوعة بخاتمة من فصلين. في هذه الفصول نقف على نهايات سير الشخصيات التي مرت بنا في المجلد الأول، فننتقل من عالم التوصيفات إلى عالم الحديث الجواني عن أعماقها، فننفذ خلال الصفحات المئة الأولى إلى أعماق (سفيد ريجاييلوف) الرجل الموصوف